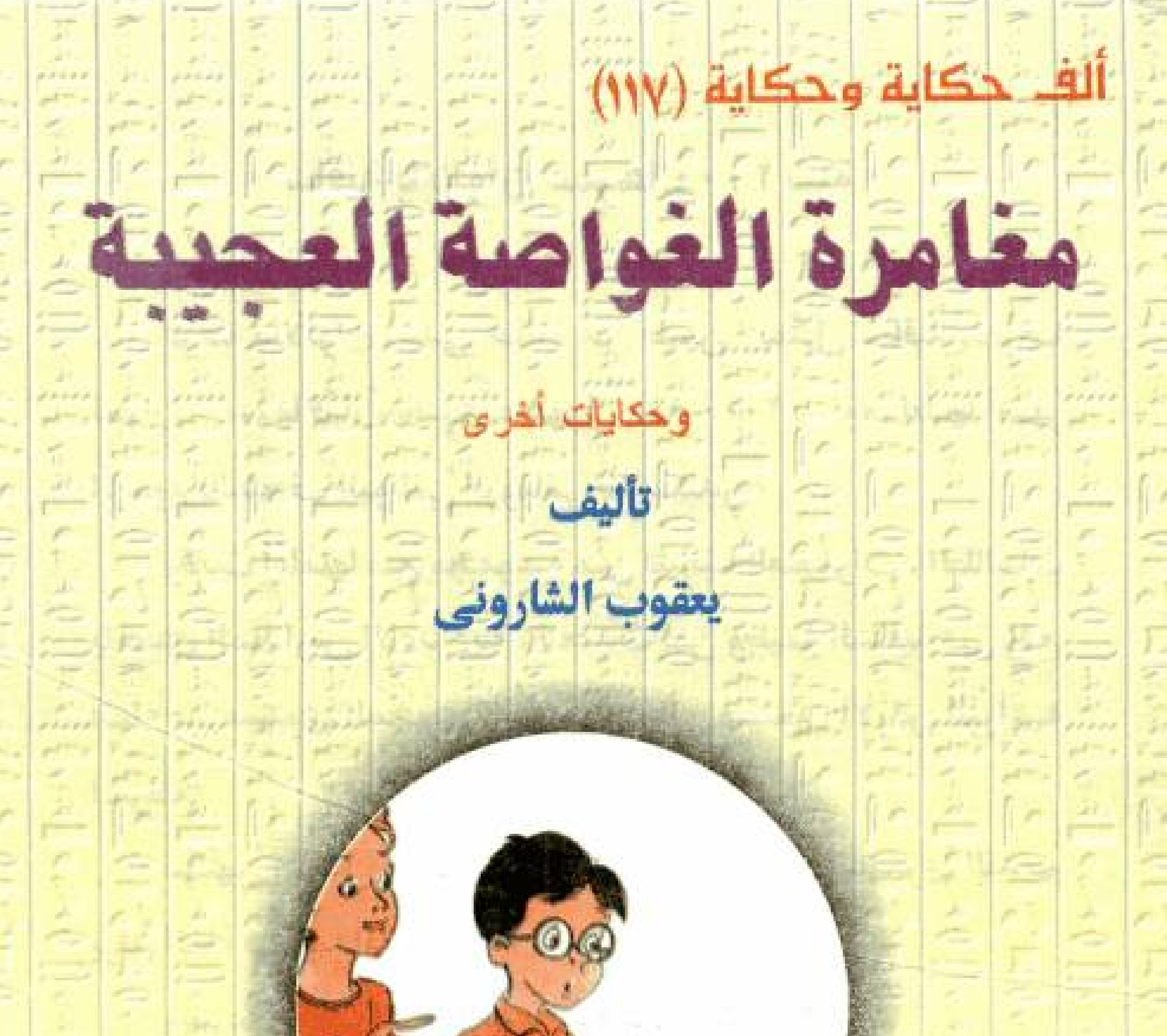
ألف حكاية وحكاية (١١٧)

مغامرة الغواصة العجيبة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

تامر الشارونى

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقى الفجالة

٥٩٠٨٩٢٠/٥

ساقية بالألوان عمرها ٢٠٠٠ سنة

لوحةٌ بالألوانِ ، على حائطٍ من طينٍ ، تمثّلُ ساقيةً يُديرُها ثورانِ ، رسمَها فنّانٌ مصرىٌّ مجهولٌ منذُ ٢٠٠٠ سنةٍ .. لعلّها أشهرُ الرسومِ بالمتحفِ اليونانِىِّ الرومانِىِّ بالإسكندرية .

وقفْتُ أمامَها مع مجموعةٍ من فتياتِنا الصغيراتِ ، الطالباتِ بإحدى المدارسِ الإعداديةِ ، نتحدّثُ عن وظيفةِ الساقيةِ فى رفعِ الماءِ من مستوى المَجْرَى المُنخفِضِ ، إلى مستوى الأرضِ الزراعيةِ المرتفعِ .

سألْتُهنَّ : " قبلَ استخدامِ الساقيةِ ، كيف كانَ المصرىُّ القديمُ يرفعُ الماءَ فى غيرِ أوقاتِ فيضانِ النيلِ ؟ "

وبسرعةٍ جاءَتِ الإجابةُ من كثيراتٍ : " بالشّادوفِ . "

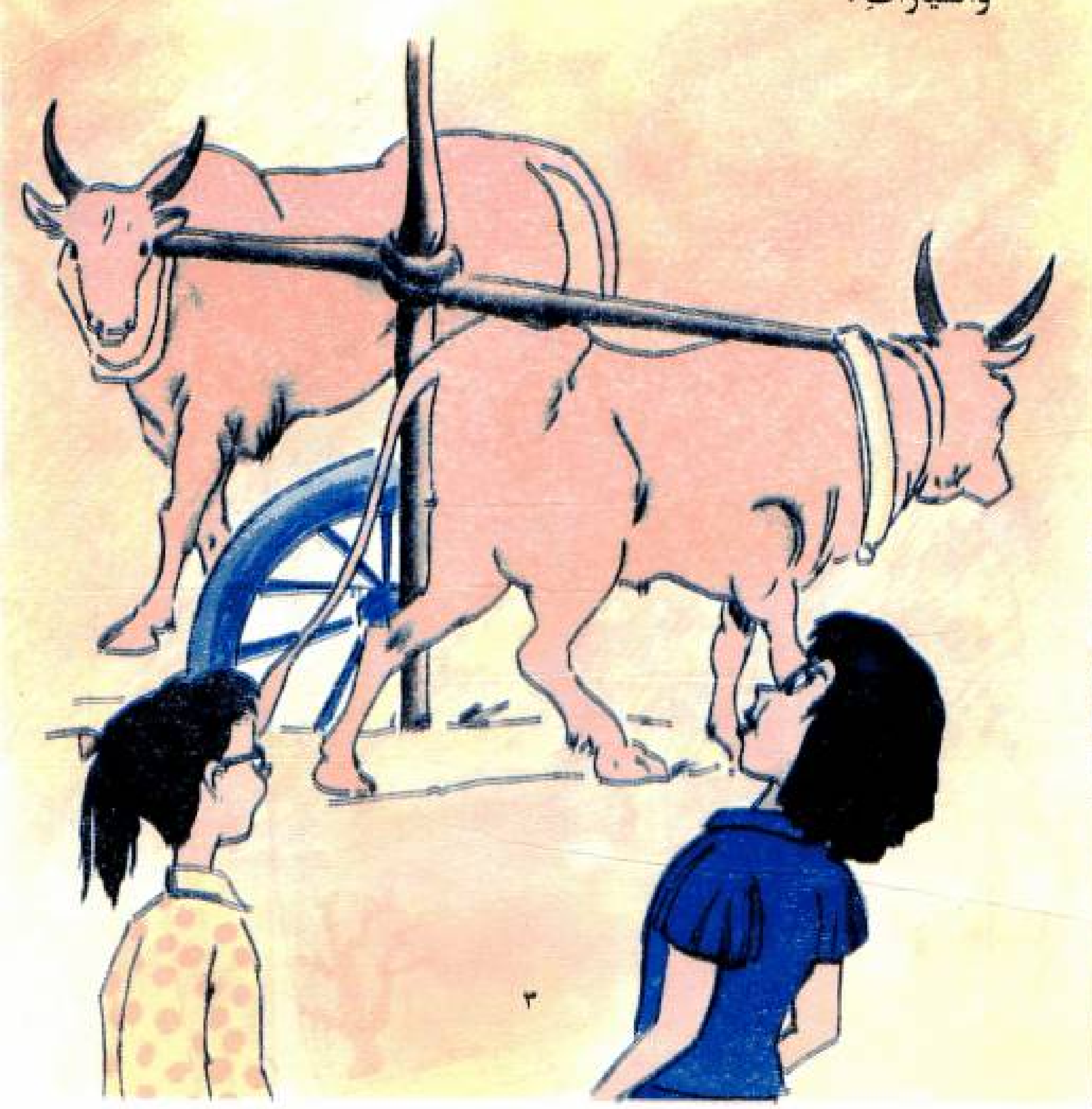
فعدْتُ أسألُ : " وما الفرقُ الأساسِىُّ بين الآلتَيْنِ ؟ "

وسكتْنَ إلا واحدةً ، قالَتْ فى ثقةٍ : " الشادوف يعملُ بقوةِ الإنسانِ ، ونرفعُ به فى وقتٍ طويلٍ ، كميةً قليلةً من الماءِ . أما الساقيةُ فتعملُ بقوةِ الحيوانِ ، وترفعُ كميةً أكبرَ فى وقتٍ أقلَّ . "

سألْتُ : " والآنَ ؟ "

قلْنَ : " يستخدمُ المزارعونَ الطلمباتِ ، التى تُدارُ بطاقةِ النفطِ أو الكهرباءِ . "

وفجأةً أضافَتْ فتاةٌ صغيرةٌ ، تلتمعُ عيناها بالذكاءِ الحادِّ والثقةِ بالنفسِ : " الآنَ فهِمْتُ الهدفَ من حديثِكَ .. مثلُ هذا حدثَ في مجالاتٍ كثيرةٍ أثناءَ تقدُّمِ الحضارةِ .. فمثلاً النقلُ بدأ بالإنسانِ الذي كان يحملُ الأشياءَ أو يجرُّها ، ثم استخدمَ الإنسانُ الحيوانَ للحملِ والجرِّ ، وبعدها جاءَ استخدامُ البخار والكهرباءِ لتسييرِ القطاراتِ والسياراتِ . "



مغامرة الغواصة العجيبة

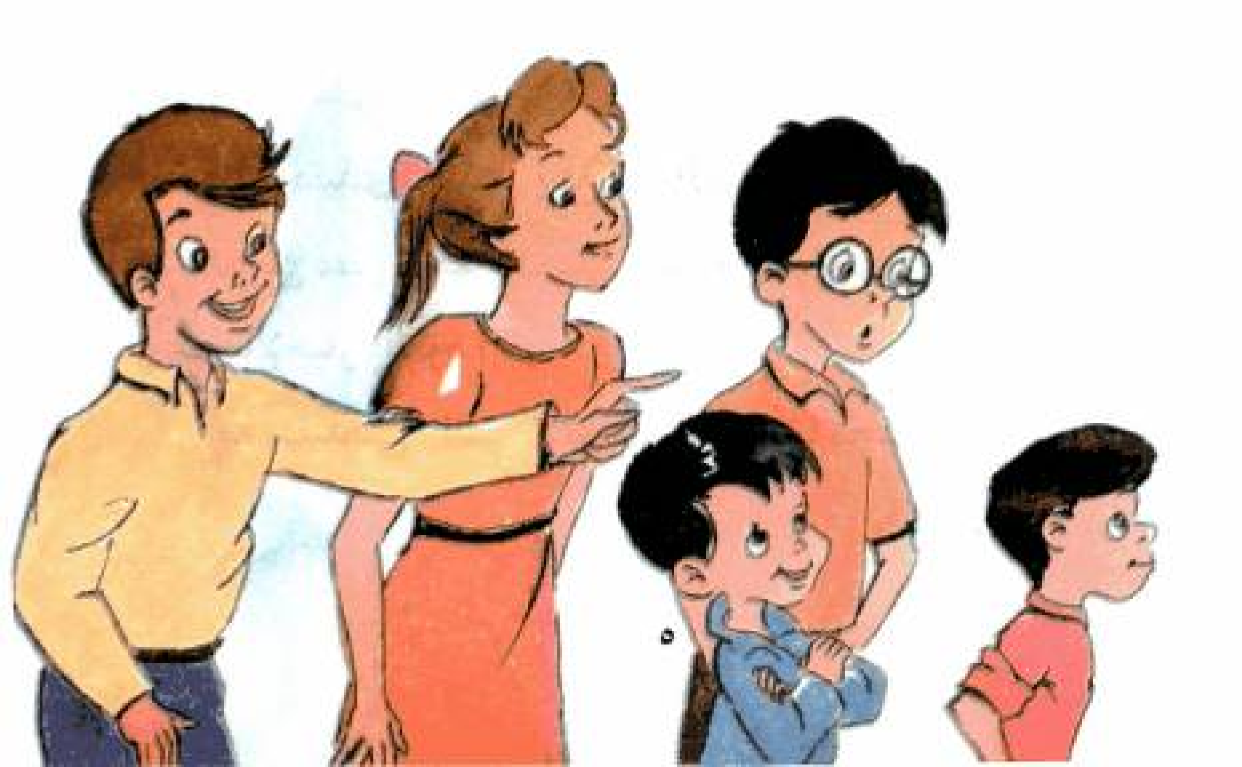
إلى بطنِ الغواصةِ المُغطَّى بالمعدنِ الفضيِّ اللونِ ، دخلَ عشرون فتًى وفتاةً ، وجلسوا على مقاعدِ المشاهدةِ . ثم أطفِئَتِ الأضواءُ ، لتتركَّزَ العيونُ على نوافذِ الغواصةِ الدائريةِ والمستطيلةِ ، تراقبُ مياهَ البحرِ الأحمرِ ، التي بدأتِ الغواصةُ تنزلُ ببطءٍ إلى أعماقِها .



ومن النوافذِ المُحصَّنةِ ، شاهدوا في البدايةِ الكائناتِ التي تعيشُ في منطقةِ المياهِ المُضيئةِ ، القريبةِ من سطحِ الماءِ و ضوءِ الشمسِ . ثم المنطقةَ نصفَ المُضيئةِ . وبعدَها في الأعماقِ ، منطقةَ الظلامِ الشديدِ .

وفي كلِّ منطقةٍ ، نُبصِرُ مختلفَ أشكالِ الحياةِ البحريةِ الحيةِ التي تتميَّزُ بها المنطقةُ ، وكلُّها تنبضُ بالجمالِ وروعةِ الطبيعةِ ، خاصةً تكويناتِ المرجانِ ، في تشكيلاتِها التي تكوَّنَتْ خلالَ عشراتِ الألوفِ من السنينَ ، والتي يتدافعُ بسببِها آلافُ السائحينَ إلى مصرَ ، يمارسون رياضةَ الغَوْصِ في بحارنا ، ليتمتَّعوا بجمالِها وألوانِها .

هذه الرحلةُ المثيرةُ لم تتمَّ في مياهِ البحرِ الأحمرِ في الغردقةِ أو شرمِ الشيخِ ، بل في أكثرِ قاعاتِ العرضِ إثارةً وحيويةً ، بمتحفِ سوزان مبارك للطفلِ ، في حديقةِ الغابةِ ، بمصرَ الجديدةِ بالقاهرةِ .



الحادثة

كـانَ تعليـقُ إحـدى الصغـيراتِ علـى قصـةِ فيلـمِ " جميلـة والوحش " ، أنهُ : " عندما أظهرَ الوحشُ الحبَّ والعطفَ ، استطاعَ أن يكسبَ جميلةَ ، وأن يفوزَ بحبِّها " .

وهناك عملٌ فنيٌّ آخرُ جميلٌ ، تَناولَ نفسَ الموضوعِ ، لكنْ من وِجهةِ نظرٍ عكسيةٍ .

فعلى المسرحِ بالقاهرةِ ، تمَّ عرضُ مسرحيةِ " الحادثةِ " ، التى كتبَها الكاتبُ المسرحِيُّ المُبدِعُ " لينين الرملى " .

وفى هذه المسرحيةِ ، نرى الشابَّ الذى يزعمُ ويقولُ : " إنـه يحبُّ فتاةً " ، يحبسُها فى غرفةٍ ، ويُحيطُها بكلِّ وسائلِ الراحةِ ، ثم يؤكِّدُ لها أنه لن يُطلِقَ سراحَها ، إلا إذا أحَبَّتْهُ مثلَما يُحِبُّها !!

وتنتهى المسرحيةُ بأن يُصبحَ السجَّانُ سجينًا مع سجينتِهِ ، بغير حبٍّ ولا تعاطُفٍ !!

قالَ حفيدى ، الذى يبلغُ من العمرِ ستَّ سنواتٍ ، بعد أن حضرَ هذا العرضَ معى ، وضحكَ على كثيرٍ من مواقفِهِ : " جدو .. هل يأتى الحبُّ بالإجبارِ والقوةِ ؟ "

أمَّا حفيدتى ، التى ارتفعَتْ ضحكاتُها مُجَلْجِلَةً أثناءَ العرضِ ،

والتى بلغتِ الثامنةَ من عمرِها ، فقد قالَتْ ضاحكةً : " ويُريدُها أيضًا أن تحبَّه بالمسدسِ !! "

هنا أيقنْتُ بوضوحٍ ، أن الأطفالَ ، مثلُ الكبار ، يعرفون جيدًا ، أنه لا يُمكِنُ أن نكسبَ الحبَّ إلا إذا أحبَبْنا .

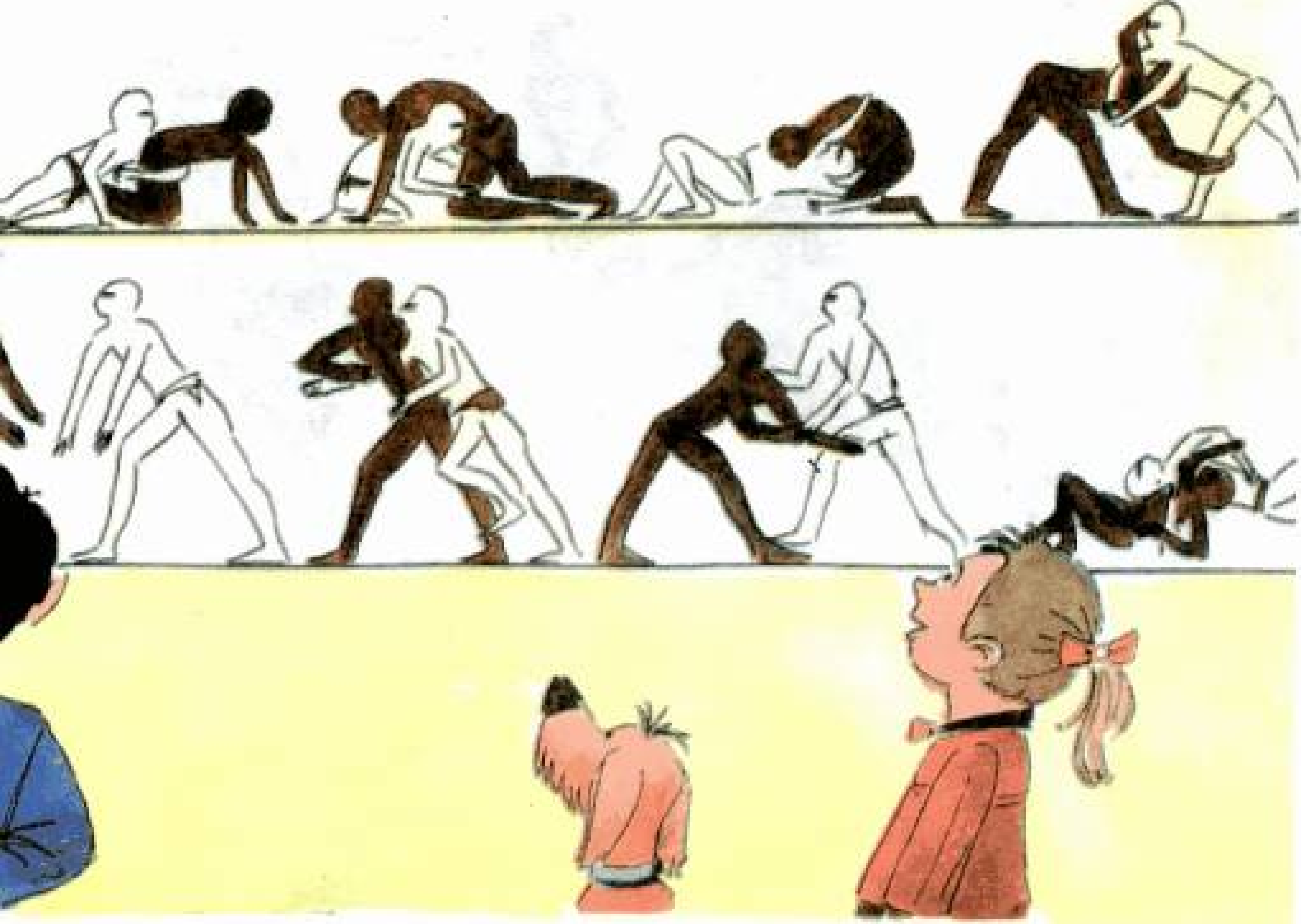


المصارعة على الجدران

مع أربعينَ طفلاً من أعضاءِ نادى الأطفالِ بقصرِ ثقافةِ أسيوط ، وقفْنا نتأمَّلُ عشراتٍ من أوضاعِ رياضةِ المصارعةِ ، على جدرانِ آثار بنى حسن ، فى تلالِ البرِّ الشرقِيِّ المُشرفةِ على النيلِ بمحافظةِ المنيا .

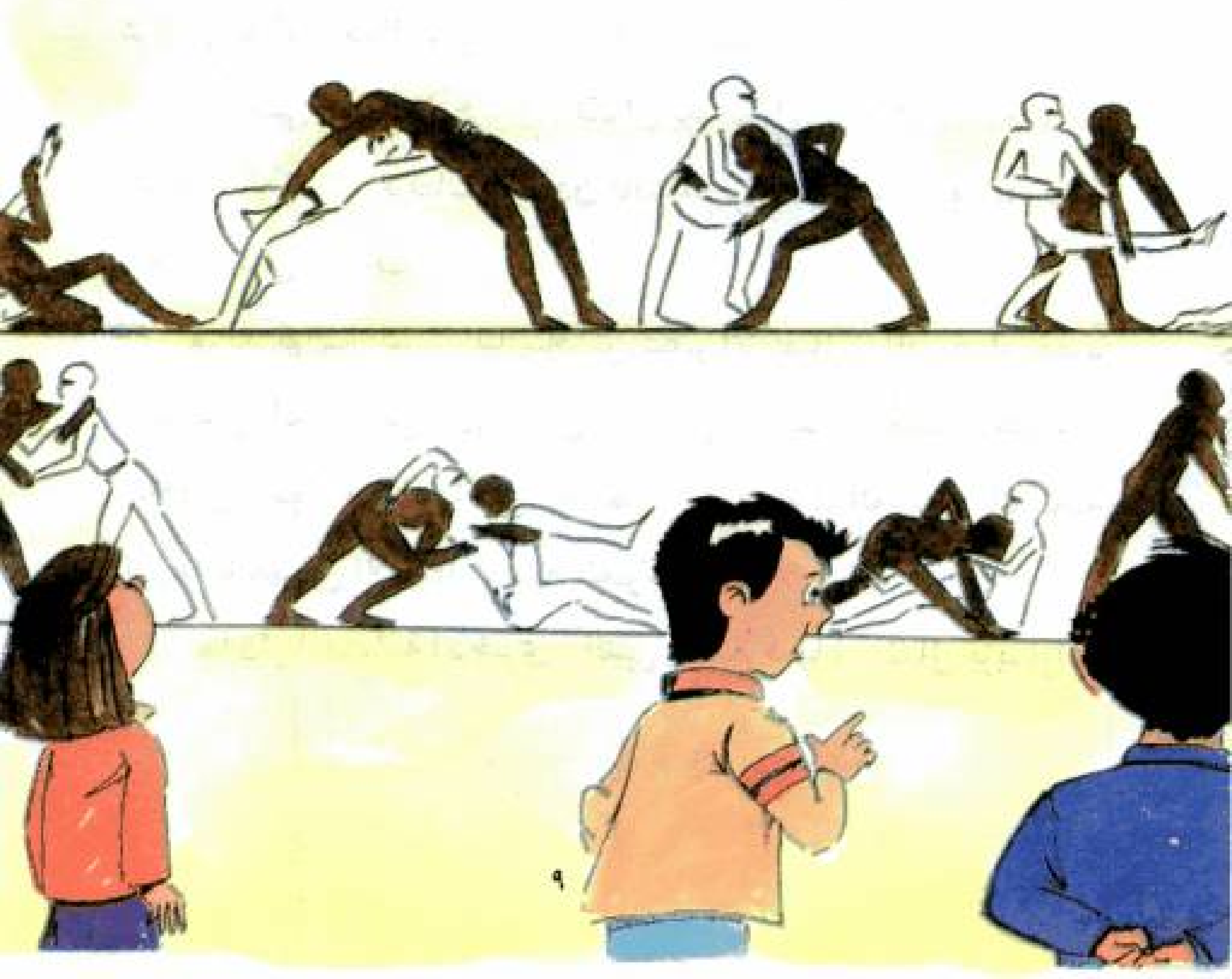
قالَتْ رشا : " منذُ أربعةِ آلافِ سنةٍ ، أتقنَ أجدادُنا الرياضةَ ، حتى أصبحَتْ لها قواعدُ سجَّلوها بمثلِ هذه الدقةِ على آثارهم . "

وكانَ تعليقُ حسام : " من المُؤكَّدِ أن الحاكمَ صاحبَ هذه المقبرةِ ، كانَ يحبُّ الرياضةَ ، لذلك اهتمَّ كلَّ هذا الاهتمامِ بأن تأخذَ رسومُها كلَّ هذه المساحةِ من جدرانِ مقبرتِهِ . "



قالَتِ المُشرِفةُ على الرحلةِ : " بل نعتقدُ أنه كانَتْ تُقامُ مسابقاتٌ في هـذه الرياضـةِ ، بـينَ أبنـاءِ الأقـاليمِ المجـاورةِ ، وكـانَ الأمـراءُ والحكـامُ يشـتركونَ بأنفسِـهم فـي هـذه المباريـاتِ . كمـا نعتقـدُ أن اليونانيين القدماءَ ، عندمـا أقاموا الألعابَ الأوليمبيةَ بعد ذلك بأكثرَ من ألفِ سنةٍ ، أخذوا فكرتَها من مبارياتِ الرياضةِ البدنيـةِ التـى كـانَتْ تُقامُ فى مصرَ الفرعونيةِ . "

ومن جديدٍ ، وقفَ الأطفالُ يتطلَّعونَ مبهورينَ إلى حضارةِ مصرَ القديمةِ ، التى تعلَّمَ منها العالمُ كلُّهُ مُعظَمَ عناصرِ الحضـارةِ ، ومن بينِها مبارياتُ الرياضةِ البدنيةِ .



الأطفال يطلبون المشاركة

فى مؤتمر " الطفلُ العربىُّ مُبدعًا " ، الذى أقامَتْهُ كليةُ التربيةِ النوعيةِ ببور سعيد ، قدَّمَ الدكتورُ الهلالى الشربينى ، دراسةً ذكرَ فيها تجربةً مهمةً ، حولَ أثرِ البيئةِ الغنيةِ بالمثيراتِ ، فى تنشئةِ الطفلِ الاجتماعيةِ .

لقد ذكرَ أنه تمَّتِ المقارنةُ بين دارَيْنِ لرعايةِ الأطفالِ :

الأولى للأطفالِ الذين حُرِموا من الآباءِ والأمهاتِ ، وليسَتْ لهم عائلاتٌ تهتمُّ بهم . وكانَ الأطفالُ فى هذه الدار يعيشون فى شبه عزلةٍ ، لأنه ليسَ هناك مَنْ يزورُهم أو يسألُ عنهم .

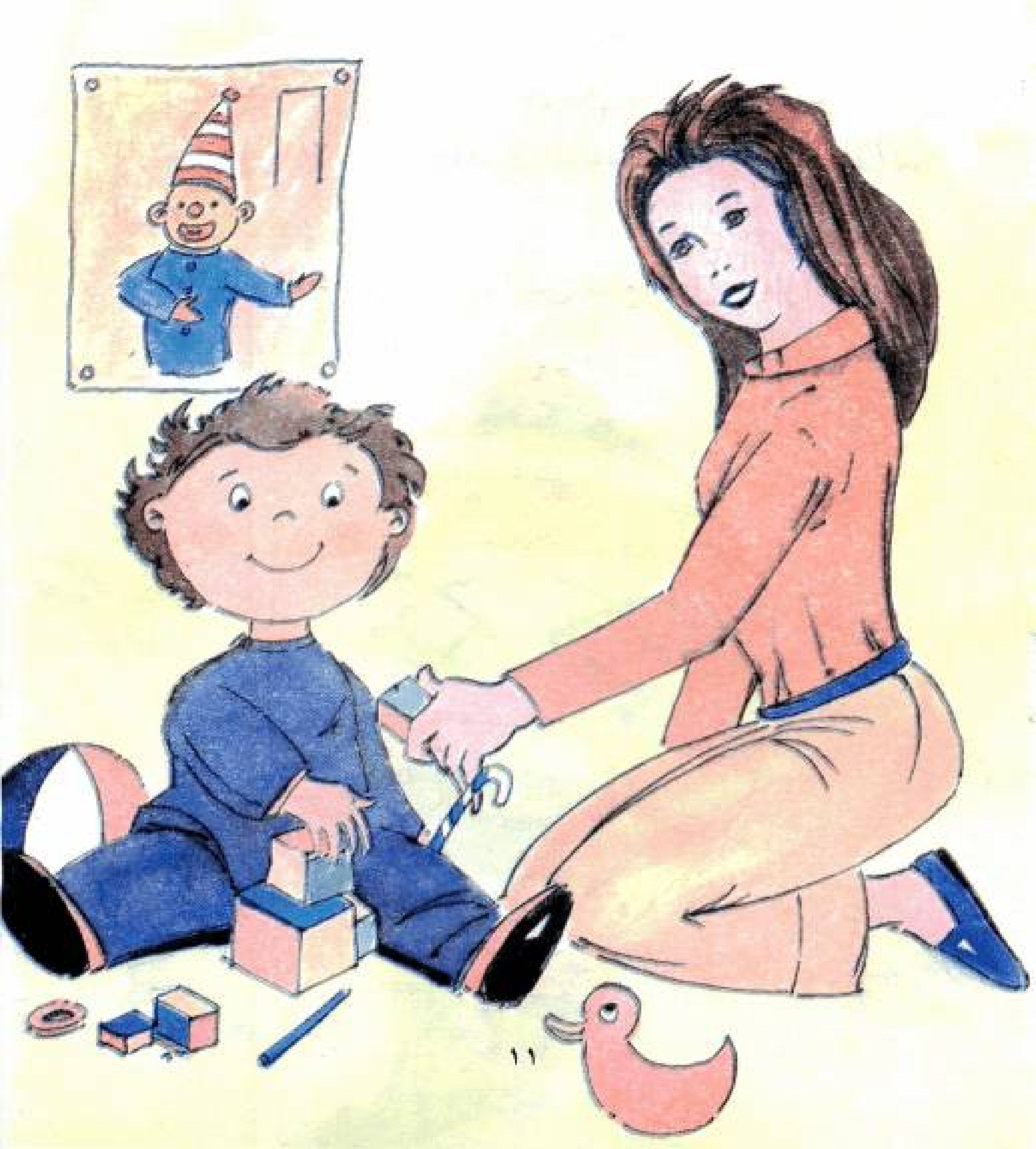
أما فى الدارِ الأخرى ، فكانَ يعيشُ أبناءُ أمهاتٍ صغيراتٍ مُطلَّقاتٍ ، وكانَتِ الأمهاتُ يتردَّدْنَ بانتظامٍ لزيارةِ الأبناءِ ، ومشاركتِهم اللعبَ ببعضِ الألعابِ .

وعندَ نهايةِ السنةِ الثانيةِ من عمرِ الأطفالِ ، اتضحَ أن نُموَّ الأطفالِ المعزولين ، لم يصلْ إلا إلى ٤٥ ٪ من نُموِّ الأطفالِ العاديينَ . سواءٌ فى النواحى الجسميةِ أو النفسيةِ أو العقليةِ ، بالإضافةِ إلى معاناتِهم من الانطواءِ وعدمِ الحركةِ .

أما دارُ الحضانةِ الأخرى ، التى يتمتَّعُ فيها الأطفالُ بزياراتٍ

الأمهاتِ واللعبِ معهم ، فقد ارتفعَتْ نسبةُ النمُوِّ إلى ١٠٥ ٪ .

ويقولُ الأستاذُ الباحثُ : " إن هذا يؤكِّدُ ضرورةَ مشاركةِ الكبار الأطفالَ ، بصفةٍ مستمرةٍ ، في كلِّ أنواعِ الأنشطةِ ، عن طريقِ الحوار الدائمِ واللعبِ المستمرِّ معهم . "



متحف الطيران والفضاء

منْ أهمِّ المتاحفِ فى أمريكا ، متحفُ الطيرانِ والفضاءِ فى واشنطن . وتجسّمُ معروضاتُهُ نجاحَ الإنسانِ فى الطيرانِ وغزو الفضاءِ .

ومن أهمِّ معروضاتِهِ ، التى أثارَتِ اهتمامَنا فى زيارتِنا له ، نموذجٌ لبالونِ مونجفليه ، أولِ ما ارتفعَ به إنسانٌ فى الهواءِ ، فى باريس ، عامَ ١٧٨٣ . والمعروفُ أن البالوناتِ ترتفعُ لأنها أخفُّ من الهواءِ .

وطائرةُ الأخوَيْنِ رايت ، التى كانتْ أولَ جهاز أثقلَ من



الهواءِ ، وقابلٍ للتوجيهِ ، ويسيرُ بقوةٍ مُحركةٍ ، يرتفعُ بإنسانٍ فى الهواءِ . وكانَ ذلك عامَ ١٩٠٣ ، بالولاياتِ المتحدةِ .

والطائرةُ التى استخدمَها الطيَّارُ " ليندنبرج " عام ١٩٢٧ ، وعمرُهُ ٢٥ سنةً ، ليقومَ بأولِ رحلةٍ يقطعُها رجلٌ بمفردِهِ ، وبدون توقُّفٍ ، لعبور المحيطِ الأطلنطىِّ بينَ أمريكا و أوربا ، وذلك خلالَ ٣٣,٥ ساعةً ، من نيويورك إلى باريس .

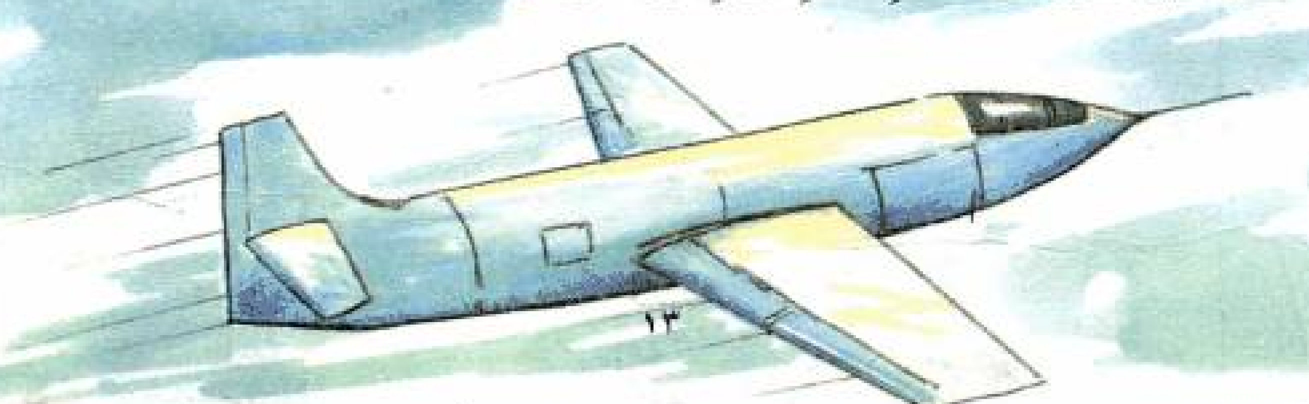
والطائرةُ التى طارَتْ بها " أماليا إيرهات " سنة ١٩٣٢ ، من أمريكا إلى أوربا ، فى ١٤ ساعةً و ٥٢ دقيقةً ، وكانتْ بذلك أولَ سيدةٍ تعبرُ الأطلنطىَّ بمفردِها فى طائرةٍ .

وأولُ طائرةٍ يقودُها طيَّارٌ بسرعةٍ تتجاوزُ سرعةَ الصَّوْتِ ، سنة ١٩٤٧ .

ونموذجٌ بالحجمِ الطبيعىِّ ، لسبوتنيك (١) الروسىِّ ، الذى كانَ أولَ قمرٍ صناعىٍّ يدورُ فى الفضاءِ حولَ الأرضِ ، سنةَ ١٩٥٧ .

ونموذجٌ طِبْقَ الأصلِ للمكتشفِ رقم (١) ، أولِ قمرٍ صناعىٍّ أمريكىٍّ يدورُ حولَ الأرضِ ، سنةَ ١٩٥٨ .

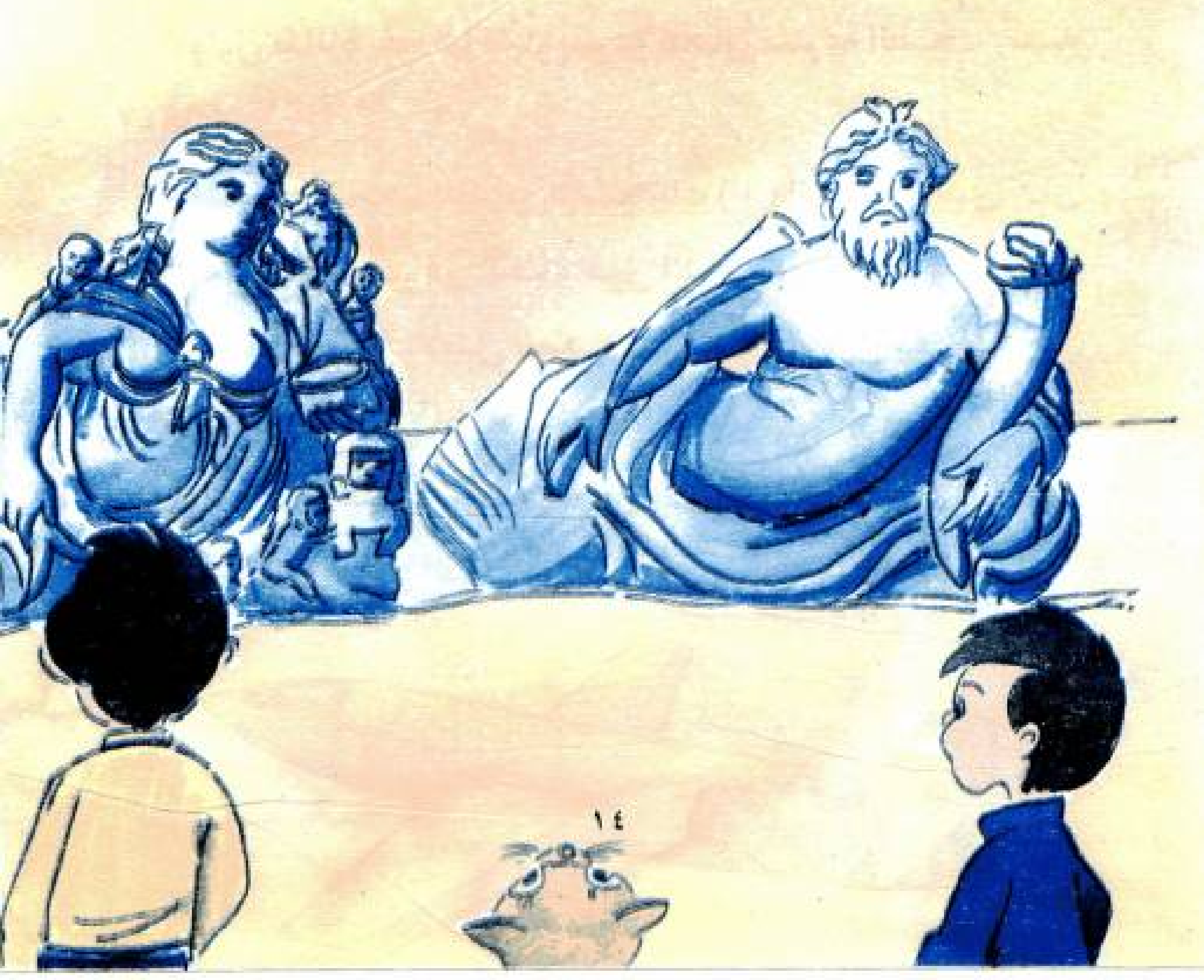
والمركبةُ الفضائيةُ أبوللو (١١) ، التى حملتْ روادَ الفضاءِ الأمريكيين إلى سطحِ القمرِ لأولِ مرةٍ ، فى يوليو سنة ١٩٦٩ .



قرن الخير وثمانية أطفال !!

معَ مجموعةٍ من طالباتِ مدارسِ الإسكندريةِ ، كنتُ أطوفُ بالمتحفِ اليونانِيِّ الرومانِيِّ ، يومَ احتفالِهِ بعيدِ الطفولةِ ، ومعنا أمينةُ المتحفِ ، المسئولةُ عن التربيةِ المتحفيةِ .

وأمامَ تمثالَيْ إلهِ النيلِ وإلهةِ النيلِ ، وقفْنا نتأمَّلُ أنواعَ الفاكهةِ والخضراواتِ التى تملأ قرنَ الخيراتِ ، الذى يحملُهُ تمثالُ إلهِ النيلِ ، ونُحصِى عددَ الأطفالِ الذين يُحيطون بتمثالِ إلهةِ النيلِ .



قالَتْ فتاةٌ : " إنهم ثمانيةُ أطفالٍ ، ولعلهم يُمثِّلونَ اهتمامَ أهلِ مصرَ بالأطفالِ . "

قالَتْ مسئولةُ التربيةِ المتحفيةِ : " بل يمثِّلونَ أقصى ارتفاعٍ لمياهِ النيلِ وقتَ الفيضانِ ، وهو ثماني أذرعٍ ، أي حوالي سبعةِ أمتار . "

سألْتُهن : " عندما اهتمَّ الفنانُ المصريُّ بإبداعِ هذَيْنِ التمثالَيْنِ الجميلَيْنِ ، كان يعبِّرُ بغيرِ شكٍّ عن حقيقةِ علاقةِ أهلِ مصرَ بالنيلِ ؟ "

قُلْنَ : " التمثالانِ يؤكِّدانِ أن النيلَ هو مصدرُ الخصبِ والخيرِ والنماءِ لكلِّ أرضِ مصرَ . لقد عبَّرَ الفنانُ بصدقٍ عن قوةِ علاقةِ المصريينَ بالنيلِ ، ومدى اعتمادِ رخائهم عليه . "

هنا لم أتمالكْ إلا أن أسألَهُنَّ : " وهل تجدْنَ أهلَ مصرَ ، يشعرون الآنَ ، بنفسِ هذه المشاعرِ القويةِ العميقةِ ، التي تربطُ حياتَهم بنهرِ النيلِ ؟ "

و فوجِئْتُ عندما سمعْتُ إجابةً سريعةً ، من عشراتِ الشاباتِ الصغيراتِ ، تقولُ في تأكيدٍ : " للأسفِ .. لا !! "





عظماء خدموا مصر فى القرن العشرين

بجوار السبورةِ ، فى عددٍ كبيرٍ من فصولِ مدارسِ المرحلتَيْنِ الابتدائيةِ والإعداديةِ بأمريكا ، يمكنكَ أن ترى لوحةً كبيرةً ، فى نصفِها الأيمنِ صُوَرٌ لخمسِ شخصياتٍ أو أكثرَ من الرجالِ والسيداتِ ، الذين قدَّموا خدماتٍ جليلةً لوطنِهم . وفى النصفِ الأيسرِ من اللوحةِ ، تقرأ معلوماتٍ أساسيةً حولَ كلِّ شخصيةٍ . وذلك لتقديمِ القدوةِ والنموذجِ للأطفالِ ، ولدفعِهم إلى البحثِ عن معلوماتٍ إضافيةٍ عن كلِّ شخصيةٍ .

فإذا وضَعْنا مثلَ هذه اللوحةِ فى أحدِ فصولِ المرحلةِ الابتدائيةِ بمصرَ ، يمكنُ لنا أن نرسمَ ونكتبَ عن نجيبِ محفوظ الحائزِ على جائزةِ نوبل فى الأدبِ ، وأحمد شوقى أميرِ الشعراءِ ، و د . مجدى يعقوب الطبيبِ العالمِىِّ فى جراحاتِ القلبِ ، و د . فاروق الباز العالمِ الكبيرِ فى الطبيعةِ ، ومحمد عبد الوهاب الموسيقار الذى أحبَّه كلُّ الناسِ ، وأم كلثوم سيدةِ الغناءِ العربىِّ ، والزعيمِ سعد زغلول قائدِ ثورةِ مصر سنةَ ١٩١٩ ضدَّ الاستعمار ، وجمال عبد الناصر الزعيمِ الذى أمَّمَ قناةَ السويسِ ، وأنور السادات الذى حقَّقَ لمصرَ أعظمَ انتصارٍ عسكرِىٍّ فى القرنِ العشرينَ ، والرئيسِ حسنى مبارك الذى يُعطِى معظمَ اهتمامِهِ للمستقبلِ وللعلمِ وللشبابِ ، والسيدةِ سوزان مبارك صاحبةِ مشروعِ القراءةِ للجميعِ وكتاب لكلِّ طفلٍ ، والعالِمِ أحمد زويل